

التأسيس الديني في مبررات إعلان الحملة الصليبية الاولى 489هـ/1095م

Religious Politicization in the Justification of the Declaration of the first Crusade

د. هالا عبدالحميد الوريكات
استاذ مساعد - قسم التاريخ-
جامعة الملك عبدالعزيز- المملكة العربية السعودية - جدة فرع الفيصلية
halwriekat@kau.edu.sa

ملخص

تندرج هذه الدراسة ضمن محاولة التتبع التاريخي الزمني الذي استند عليه دعاة الحملة الصليبية الاولى في إضفاء الشرعية التاريخية والقانونية في اغتصاب الآخرين وهم هنا العرب المسلمين وجودهم في فلسطين، خاصة إذا رافقها في فترة زمنية طويلة نوع من التداخل الاجتماعي والثقافي والاقتصادي على المستويين الشعبي والرسمي.

اعتمد البحث بشكل أساسي على المصادر العربية والاجنبية والتي قامت بتدوين الملاحظات الاولى وردة فعل الاطراف المؤثرة والمتأثرة بأسباب ونتائج الحملة الصليبية الاولى.

الكلمات الدالة: الحملات الصليبية- التأسيس الديني- البابا اوربان-العالم الاسلامي- اوربا العصور الوسطى.

Abstract

This study is part of the attempt to trace the temporal history on which the advocates of the first crusade were based. Perhaps the historical and legal legitimacy of the rape of others, which is the Arab Muslim population in Palestine, especially if accompanied by a long period of social, cultural and economic overlap at the public and official levels.

The research was based mainly on Arab and foreign sources, which recorded the initial observations and reactions of the influential parties affected by the causes and results of the first crusade.

keywords: Crusades, religious politicization, Pope Urban, Islamic world, Europe Middle Ages.

مقدمة

489هـ/1095م إلى عرض مقدمات الحملة الصليبية الاولى من جانب مختلف مما اعتاد عليه القارئ للحروب الصليبية في بلاد الشام والتي امتدت قرنين من الزمان 490هـ/1097م - 583هـ/1187م ، والتي استمرت اثارها الى يومنا هذا مما نشهده من عداو او على الاقل نظرة سلبية من الغرب المسيحي نحو الشرق الاسلامي.

عندما يصبح الدين غطاء لتحقيق الاهداف السياسية وتسيير الشعوب نحو العنف والعداء والكره لآخر يصبح من الضروري العودة الى بعض الاحداث التاريخية الكبرى التي اسست لمثل هذه الافكار الحالية. يهدف بحث التأسيس الديني في مبررات إعلان الحملة الصليبية الاولى

الأوروبيين أثناء الحكم الإسلامي والتي وقف من خلالها موقفاً محايداً إذ يؤكد عدم وجود سياسة موجهة لاضطهاد الحجاج الغربيين من قبل الدولة الإسلامية، لما يحققه قدوم هؤلاء من فوائد اقتصادية ناجمة عما يدفعونه من ضرائب إلا أن ذلك لا يعني عدم تعرضهم لمضايقات من قطاع الطرق والقبائل القاطنة على طول طريق الحج الذين اتخذوا من قطع طرق الحجيج مهنة للتكسب، كما واستعانت به الدراسة كثيراً في بيان مصادر تمويل الحملة الصليبية الأولى والطرق التي سلكها الصليبيون في عبورهم أوروبا وصولاً إلى القسطنطينية، كما وتتبع رنسيمان الاستغاثات البيزنطية البابوية (463هـ / 1071م - 490هـ / 1095م)، وأوضح أن الأوروبيين لم يكونوا بعيدين عن الصراع البيزنطي - الإسلامي في آسيا الصغرى، والتي أكدتها مشاركة الأوروبيين فيها على شكل جنود مرتزقة. وافرد للصراع البيزنطي- السلجوقي مساحة كبيرة لبيان دوره في إعلان الحملة الصليبية وتأثيره السلبي على الإمبراطورية البيزنطية.

وفي النهاية نسأل الله عز وجل التوفيق...

المبحث الأول: الاستغلال البابوي للظروف العامة الدولية

الأوضاع الأوروبية العامة

لا بد من الاقرار ان البابوية كانت تواجه منذ القرن العاشر الميلادي ظروفًا أوروبية صعبة، وضعت على كاهلها - اذا ما ارادت قيادة الغرب الاوروبي والعالم المسيحي- لعب ادوارا سياسية وعسكرية، وبما ان البابوية لم تكن تنوي التنازل عن ممتلكاتها لحل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية، كما انها لا تفكر بفتح المجال للتطور الذاتي وللحريات الفردية خشية ان ينقلب ذلك على سلطتها نفسها، وعلى الرغم من ان البابوية كانت ترغب في تعزيز نفوذها على حساب الملوك والنبلاء إلا أن ذلك لا يعني ابدأ التعاون مع العامة ضد السلطات السياسية المتناثرة القائمة آنذاك. بشكل عام يمكن الايجاز بالقول أن أوروبا كانت في ذلك الحين مرتعا خصباً للفوضى والفساد والاضطرابات، وبؤرة للأمراض والأوبئة، فافتقرت، وعمها القحط والجوع، وشكلت طبقة الفلاحين نسبة كبيرة من أفراد المجتمع الأوروبي الاقطاعي. وكانت هذه الطبقة تعيش حياة قاسية وتفتقر للأمن والاستقرار، يضاف إلى ذلك أن الأراضي الزراعية قد خربت وأصابها البوار، كما ضربت الجسور، وغطت المياه جانباً من هذه الأراضي، وكان النبلاء يرفضون تحويل أراضي غاباتهم إلى أراضٍ زراعية؛ لرغبتهم في الاحتفاظ بهذه الغابات خاصة بهم للصيد واللهو. وبذلك لم تعد موارد الأراضي تكفي لسد حاجات السكان في الوقت الذي زاد فيه عدد الفلاحين، يضاف إلى ذلك أن القرى لم تكن مسورة، مما عرضها للنهب والسطو من بعض الخارجين على القانون، أو أثناء الحروب التي كانت تنشب بين الإقطاعيين. وفرت المواسم الزراعية السيئة المتعاقبة فرصة لجموح خيال أولئك المفلسين من المزارعين والفلاحين أن يصبحوا مثل الذين سمعوا

ومن ابرز المصادر العربية التي اعتمد عليها البحث كتاب ابن الأثير (ت630هـ / 1232م) وهو عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن الكريم الشيباني، في كتابه الكامل في التاريخ، وابن الأثير من المؤرخين غير المعاصرين للأحداث موضوع البحث، وكتابه الكامل في التاريخ يندرج ضمن كتب التاريخ العام، إلا أنه يعتبر من أفضل ما كتب بالعربية على نسق الحوليات، وتمتاز كتاباته بالتفصيل دون الإخلال بالتنسيق أو عرض المادة، فقد احتوى على كثير من الروايات التي لم تتوافر في الروايات العربية المعاصرة للحدث والتي استقاها من الكتابات والروايات الشفهية والمدونة العربية منها والإفريقية، والتي حصل عليها من رحلاته بين المدن الإسلامية الكبرى. ظهر أسلوب التقصي عند ابن الأثير عندما تناول تطور الصراع الإسلامي الصليبي في اسبانيا (حروب الاسترداد Reconquista) وعلاقتها بالحملة الصليبية الأولى. ومن ابرز المصادر الاجنبية التي اعتمد عليها البحث Fulcher of Charter. A History of The Expedition to Jerrusalem, 1095-1127، عاش في الفترة الواقعة ما بين (1058-1127م) وهو فرنسي، كان رجل دين على درجة كبيرة من الثقافة يدل على ذلك، دقة معلوماته وتسلسلها، شارك في الحملة الصليبية ضمن قوات بلدوين الأول Baldwin I يتميز بإيراد مجموعة من الأحداث لم يتناولها غيره بحكم كونه قسيساً ومستشاراً لبلدوين الأول، فكان له الأخبار المفردة ذات الأهمية مما سمع وشاهد، وتمكنه من تسجيل كثير من التفاصيل مما لم يره أو يسجله غيره في أطول فترة زمنية لمصدر لاتيني مرافق للحملة الصليبية الأولى، ومن الملاحظات العامة على روايات الشارترى أنها من أقدم الدراسات التي حفظت لنا اقرب نص لخطاب البابا أوربان الثاني Pope Urban II، ومن شاهد عيان في مجمع كليرمونت Council of Clearmont 28 ذو القعدة 489هـ / 28 تشرين الثاني 1095م. كما انفرد بعرضه لرواية تتناول استغاثة الإمبراطور البيزنطي الكيسوس كومنين الأول Alexius I (1081-1118م) بالبابا أوربان الثاني أثناء انعقاد مجمع بيكانزا (بياسنزا) Pienza Council في آذار 1095م، ضد السلاجقة الأخذين بالتوسع داخل الأناضول ليهددوا القسطنطينية نفسها، وأورد تعريفاً واضحاً عن تعيين الأسقف أدهيمار دي مونتيل Adihemar Of Monteil المندوب البابوي في الحملة الصليبية الأولى.

وفي مجال المراجع والدراسات الحديثة فقد استعانت الدراسة بالعديد منها سواء ما كتب بالعربية أو ترجم إليها أو كتب باللغة الانجليزية كان أكثرها فائدة للباحث كتاب أهمية هذا الكتاب من كونه احد أهم المراجع المعتمد عليها في دراسة الحروب الصليبية بل أن بعض الدراسات العربية الحديثة تعتمد عليه بشكل كلي وواضح فيستند على رواياته وأرائه دون الرجوع إلى المراجع الأصلية العربية منها أو اللاتينية وقد استفاد البحث منه بشكل خاص في قضية أوضاع الحجاج

وجدت أيضاً عوامل ومؤثرات أقل أهمية أدت لحدوث الانشقاق، كالممارسات الطقسية وغيرها. انقسمت الكنائس الخلقيدونية عقائدياً ولغوياً وسياسياً وجغرافياً، وقامت في القرون اللاحقة لقاءات ومحاولات للصلح والوحدة، ولكنها باءت كلها بالفشل⁽⁵⁾. والذي أعقبه توتر في العلاقات بين العالم المسيحي: الشرقي والغربي، وصل إلى حد اقتتال الطرفين⁽⁶⁾، ولم يتغير هذا الوضع إلا بعد تعرض بيزنطة لهزيمة كبرى في ملاذكرد (463هـ/ 1071م) أمام السلاجقة، فقد ترتب عليها خسارة بيزنطة أجزاء واسعة من أراضيها التقليدية في آسيا الصغرى (الأناضول) ونشوء سلطنة سلاجقة الروم⁽⁶⁾، وهي المعركة التي مثلت الخطوة الأولى في صبغ الأناضول صبغة إسلامية تركية، خاصة بعد أن اتخذ السلطان ملكشاه (ت 485 هـ/ 1092م) سياسة تعتمد على توجيه ليس المناوئين لحكمه فقط وإنما الحشود السلاجقة المهاجرة من مواطنها الأصلية إلى الأناضول، وهي التي أحسن استغلالها أمراء مثل سليمان بن قطلمش (ت 479 هـ/ 1086م)، فتمكن بمساعدتهم من الاستيلاء على معظم الأناضول من كلبيكية Cilicia إلى مضيق الدردنيل، ومدنها الرئيسية (نيقية - العاصمة - نيقوميديا Nigde، قونية) وبذلك أصبح الأناضول من الفرات شرقاً، حتى بحر مرمرة غرباً تحت السيطرة السلجوقية⁽⁸⁾، ورافق ذلك تجرؤ النورمان أكثر وأكثر على غزو السواحل البيزنطية. وقف الأباطرة البيزنطيون موقفاً حرجاً إزاء هذه التطورات التي رافقها تفكك الجيش البيزنطي، واضطراب الأوضاع الأمنية، فسارعوا إلى طلب النجدة من أوروبا المسيحية ومن زعامتها الدينية التقليدية (البابوية). استفاد البابا أوربان الثاني من هذه الاتصالات والاستغاثات البيزنطية في رسم صورة عن أوضاع العالم الإسلامي وشحن الرأي العام الأوروبي وتهنيته للمشاركة في الحرب الصليبية عبر تضخيم معاناة نصارى الغرب والتهديد الوجودي الذي يتعرضون له. ومن أبرز هذه الاستغاثات ما حدث في عام 465 هـ/ 1073م: عندما لجأ الإمبراطور ميخائيل السابع دوقاس Michael VII إلى البابا جريجوري السابع Grigors VII، عام 465 هـ/ 1073م طالباً تقديم معونة عسكرية أوروبية تحارب إلى جانبه لوقف الزحف السلجوقي في الأناضول⁽⁹⁾. وكذلك في 481 هـ/ 1088م: عندما بادر الإمبراطور البيزنطي الكيسوس كومنين في 1088م إلى إرسال رسالة إلى روبرت كونت الفلاندرز Robert II Flanders يطالبه فيها بنجدة من الفرسان. وتشكك بعض الدراسات الحديثة بهذه الرواية وتضعها لعدة أسباب أهمها عدم وجود أصل لاتيني للرسالة إضافة إلى عدم مطابقة صيغة الرسالة مع الخطابات البيزنطية الرسمية⁽¹⁰⁾. والابرز والاقرب الى احداث الحملة الاولى ما كان في 489 هـ/ 1095م: أثناء انعقاد مجمع بيكانزا في آذار 1095م، للمطالبة بتقديم بعض المساعدة ضد السلاجقة الأخذيين بالتوسع داخل الأناضول حتى باتوا يهددون القسطنطينية نفسها⁽¹¹⁾.

ولا يجب هنا اغفال ما تم تداوله من استغاثات الحجاج: ويشير

الكثير عنهم وحاربوا المسلمين في أسبانيا (الاندلس) وغنموا مزارع جيدة وكونوا ثروات ثمينية. جاءت الحروب الصليبية لتروي ظمأ الفرسان وتعطشهم إلى الحرب والمغامرة، بعد أن ظن أغلبهم ببساطتهم، أنهم كانوا يزحفون إلى قدس جديدة موعودة في الأمل المسيحي، حيث لا جوع ولا عطش بعد ذلك⁽¹⁾. ولعله من هنا جاء وصف بعض المصادر الأولى الحملة الصليبية الأولى بأنها زحف جماعي رهيب⁽²⁾، "لا يحصى عدده كثرة"⁽³⁾. إذاً وجب على البابوية البابوية حل معضلتين أساسيتين لتعلن نفسها قائدة ومخلصة للعالم الأوروبي افراداً وجماعات:

❖ المشكلة الاقتصادية المتمثلة بإيجاد مصادر دخل جديدة لكل من الفرسان الذين يتجولون في أوروبا دون إقطاعيات خاصة بهم من جهة، والفلاحون والاقنان من جهة أخرى والذين باتت أعدادهم أكبر من الطاقة الاستيعابية للإقطاعيات المتاحة.

❖ المشكلة الاجتماعية المتمثلة باناحة الفرصة امام الفرد الأوروبي ليعيش نوع من الحراك الاجتماعي والانتقال الطبقي في مجتمع شرقي خيالي جديد رسمت الرويات والاعمال المتناقلة عنه سحر وثرأ الشرق الحالم.

الاستغاثات القادمة من الشرق : بما أن البابوية لا تملك رسمياً صفة سياسية لاعلان الحرب وبما أنها قد فشلت منذ حركة الإصلاح الجريجوري بإحداث استجابة شعبية أوروبية جماهيرية لاهدافها، ووجدت منافسة كبيرة على كرسي البابوية من عدد من رجال الدين الخارجين عليها . كان لابد من اضاء خطاب ديني ثوري يربط الأوروبي المسيحي البسيط بركيزة أساسية من ركائز العقيدة المسيحية الثابتة الواجب على كل معتنق للكاتوليكية الدفاع عنها؛ وهنا ربط البابا أوربان الثاني بين الحاجات الدنيوية الملحة للأوروبيين وما بين الحاجات الملحة الرئيسية للبابوية والمتمثلة بفرض زعامتها ليس في أوروبا وحدها وإنما في كل أرجاء العالم المسيحي . وهنا احسنت البابوية باستنثار الاستنكار من تلك الاستغاثات القادمة من الشرق مطالبة بتحرير المسبيين فيها هذه الاستغاثات التي كانت ومازالت ركيزة أساسية في تشبع روح العداء للغرب المسيحي نحو الشرق المسلم. والتي بدأت مع الاستغاثات البيزنطية بالغرب مع الانشقاق الكنسي الكبير 446 هـ/ 1054م (Great Resonance) بين كنائس الشرق والغرب الخلقيدونية عن بعضها بعض، مشكلة بذلك فرعاً غربياً لاتينياً (كاتوليكياً) وفرعاً شرقياً بيزنطياً (أرثوذكسياً)، والسبب الرئيسي للانشقاق هو الخلاف حول قرار البابا ليو التاسع، والذي طالب بان يكون له سلطة على البطارقة اليونان الأربع في الشرق، وأيضاً رغبة الغرب بإضافة عبارة على قانون الإيمان النيقاوي حول انبثاق الروح القدس من الابن أيضاً إضافة للاب⁽⁴⁾.

رأى الشرقيون بان سلطة بابا روما هي شرفية وهو يملك سلطة روحية في نطاق رعيته فقط، وهو لا يملك الحق لتغيير قرارات المجامع المسكونية . بالإضافة لتلك الأسباب الجوهرية

تمر بها القبائل القاطنة على طريق الحج بالإضافة الى اخذ عامل الاستقرار السياسي والنزاعات على السلطة وما يتبعها من انفلات امني بعين الاعتبار، وهو الأمر الذي تزامن مع سيطرة السلاجقة على بيت المقدس.

المبحث الثاني : البابا أوربان الثاني واستخدام المصطلح الديني في اعلان الحروب الصليبية

البابا أوربان الثاني وإعلان الحملة :- تنسب الحملة الصليبية برمتها وباختلاف دوافعها وبواعثها إلى أوتولاجري، Orod Lagery المعروف بالبابا أوربان الثاني الذي ولد حوالي 1042م لأسرة نبيلة، في جنوب فرنسا. وتدرج في التعليم والسلك الكنسي، وبدأت شهرته مع اتصاله بالبابا جريجوري السابع، وأصبح من أشد أتباعه إخلاصاً، وتبنى أفكاره، فما أن وصل سدة البابوية في روما عام 1095م حتى أعلن برنامج عمله، وهو استكمال خطة البابا جريجوري السابع قائلاً: الذي رفض أرفض والذي أدان أدن، الذي أحب أنا أعتنق، وما أعتبره كاثوليكياً أنا أؤكد وأصدق⁽¹⁸⁾، بما في ذلك فكرة إرسال حملة إلى الشرق تحارب باسم البابوية وتنقل الفرسان المستأين من هدنة الرب (Truce of God) - وهي حركة أوروبية كاثوليكية في العصور الوسطى، تقوم الكنيسة بموجبها بفرض العقوبات الروحية على منتهكي الأيام المقدسة، من أجل الحد من العنف والقتل في المجتمع الاقطاعي، وهي أول حركة سلمية تهدف لحماية كيان المجتمع المدني، بدأت فكرتها محدودة في القرن العاشر الميلادي وازدهرت في القرن الحادي عشر، واستمرت حتى القرن الثالث عشر⁽¹⁹⁾ إلى الشرق. وقد عقد منذ وصوله إلى سدة البابوية مجمعين كنسيين الأول في بيكانزا في آذار 1095، والثاني مجمع كليرمونت تشرين الثاني 1095م، بعد أقل من ثمانية أشهر على المجمع الأول مع عدم وجود مستجدات كنسية تستدعي عقد مجمعين في العام نفسه، وربما يشير ذلك إلى أن البابا فضل الدعوة إلى الحملة الصليبية في بيئة مشبعة بروح العداء للإسلام، فمدينته كليرمونت واقعة إلى الجنوب من فرنسا على الحدود الإسبانية، وقد شارك معظم أهلها في حروب الاسترداد ومن ضمنهم أفراد أسرة البابا نفسه، وكذلك أسرة ريموند دي سان جيل أشهر قادة الحملة الأولى - فيما بعد- فاقطاعيته سان جيل التي تنحدر إليها أسرته واقعة في الجنوب الفرنسي⁽²⁰⁾. وكان أكثر المشاركين في الحملة عدداً هم من الفرنسيين - يؤكد بعض الباحثين المحدثين أن الفرنسيين قد سمعوا عن ثروات البلدان الشرقية وعن الخلافات بين حكامها وكونوا فكرة عن حجم الثراء الذي يمكن ان ينالوه في الشرق⁽²¹⁾ حتى أن المصادر اللاتينية أسمتها (الحروب الإفرنجية) نسبة لهم. وقبل البدء بعرض وتحليل نص خطاب البابا أوربان الثاني تجدر الإشارة إلى أن هناك خلافاً بين المؤرخين حول النص الاصيل للخطبة التي لم تدون في حينها بل تاخرت الى ان حققت الحملة اهدافها، مما دفع المؤرخون الأوائل الى الاعتماد على ماسمعهو أو نقل اليهم من الحاضرين لخطبة البابا وبما ان الصفة الانسانية والشخصية

رنسيما إلى أن منع الحجاج الأوربيين من دخول الأراضي المقدسة كان في عام 448هـ / 1056م وبايعاز من السلطات البيزنطية على إثر الانشقاق الكنسي الكبير 1054م. في حين يؤكد زابورووف، على أن تغير طرق الحج من البحر إلى البر إنما كان بفعل التوتر العسكري في آسيا الصغرى وليس له علاقة بالمطاردات الدينية، وأستخدم في كتابه، بالسيف والصليب، عبارة "الادعاءات بالاضطهاد الديني حولت للصوم إلى فرسان المسيح" وذلك للدلالة على الهمجية باسم الدين التي رافقت الحملات الصليبية، أما سعيد عاشور يشير اعتماداً على مرجع غربي وهو Setton: إلى أن الحجاج الاووبيون قد تعرضوا منذ معركة ملاذكرد 463هـ / 1071م، إلى الكثير من المضايقات جعلت الغرب الأوروبي يؤمن بضرورة استخدام القوة لتأمين عملية الحج إلى بلاد الشام، وهنا يؤكد عاشور الاستغلال الجيد من قبل الصليبيين لهذه الروايات، وفي الوقت نفسه الذي تتحدث فيه الروايات عن الاضطهادات التي تعرض لها الحجاج في بلاد المسلمين الا انها تؤكد على استمرارية هذه الرحلات وعدم انقطاعها⁽¹²⁾. يعتبر الراهب بطرس الناسك⁽¹³⁾ Boutros Hermit من أشهر الحجاج الذين ذكرهم التاريخ فقد تحدثت عنه مصادر الحملة الصليبية الأولى كراهب ذي شخصية مؤثرة ومتحدث مفوه من أمينس Emnes. كان مجهولاً قبل دعوة البابا أوربان الثاني للحملة الصليبية، كان قد وعظ بنشاط لأجل الحملة في شمال فرنسا وبلاد الفلاندرز. وأدعى أنه عين من قبل المسيح ذاته و لديه رسالة إلهية لإثبات ذلك، ومن الجائز أن يكون بعض من أتباعه اعتقدوا أنه هو، لا البابا اوربان، الداعي الحقيقي للحملة إلى الأرض المقدسة. وقاد جماهير الفلاحين في جيش الحملة الشعبية 1095م People's. مع كل ما يحيط برحلة حجه إلى بيت المقدس من شكوك، فهو نفسه شخصية يحيطها الغموض والشك إذ لعب دوراً كبيراً في نشر الأخبار والروايات عما يلاقه الحجاج الغربيون والمسيحيون الشرقيون من اضطهاد على يد السلطات الإسلامية، وذلك ضمن أحداث 485هـ / 1093م، ولقائه المزعوم مع بطريرك القدس الذي حمّله رسالة إلى البابا أوربان الثاني يستنجد به لتخليص القبر المقدس من يد المسلمين الكفرة يشير نقولاً زيادة، وشهادة خوري، إلى أن الرسالة التي حملها بطرس الناسك قد استغلت فكانت الغاية الظاهرة للحملة الأولى تحرير المسيحيين، وفي الباطن كانت تهدف إلى إخضاع الكنائس الشرقية لها⁽¹⁴⁾. مما يؤكد عدم وجود سياسة موجهة لاضطهاد الحجاج الغربيين من قبل الدولة الإسلامية، لما يحققه قدوم هؤلاء من فوائد اقتصادية ناجمة عما يدفعونه من ضرائب⁽¹⁵⁾، وما ينفقونه داخل الدولة الإسلامية، إلا أن ذلك لا يعني عدم تعرضهم لمضايقات من قطاع الطرق والقبائل القاطنة على طول طريق الحج الذين اتخذوا من قطع طرق الحجيج مهنة للتكسب⁽¹⁶⁾، وكان ازدياد مثل هذه الاعتداءات طردياً مع ازدياد أعداد الحجاج⁽¹⁷⁾، وعكسياً مع تردي الأوضاع الاقتصادية ومواسم القحط والجفاف التي

المشحونة بالعداء ليس نحو الإسلام فقط وإنما نحو كل ما هو ليس كاثوليكي، فما أن انتهى البابا من إلقاء خطابه حتى هتف الحاضرون "أنها إرادة الرب"⁽²³⁾. وتم الاتفاق على أن ينطلق المحاربون في السنة التالية بعد جمع المحصول، وتكون القسطنطينية نقطة الالتقاء⁽²⁴⁾. وحرصاً من البابا على أن لا تخرج الحملة عن نفوذها، تمّ تعيين الأسقف أدهيمار دي مونتييل أسقف لي بويه قائداً عاماً للحملة⁽²⁵⁾.

الهوامش

1- براور، عالم الصليبيين، ص4-22؛ أنتوني بردج، تاريخ الحروب، ص40، كارين أرمسترونج، الحرب المقدسة، ص95-97؛ ميشيل بالار، الحملات الصليبية، ص29-34؛ أنتوني ويست، ص36-39

2- Anna Comnena, The Alexiad, pp.296-297

3- ابن القلانسي، ذيل تاريخ، ص218.

4- زابوروف، الصليبيون، ص21؛ ميشيل بالار، الحملات الصليبية، ص46-45؛

5- Runciman, A History, vol. 1, p.76. Charles Diehl. History of The Byzantine Empire. U. P. Princeton. 1925. p.107

6- Oldenbourg, The Crusades, p. 55 ; Runciman, A History, vol. i, p. 61; Tamara, Seljuk's in Asia Minor, pp. 30-31

7- Anna Comnena, The Alexiad, p. 181-200. Hoffman, Medieval History, p. 77; Yewdale, Bohemond, p. 9; Runciman, A History, vol. i, p. 76; Rise, The Seljuk's, p. 39

8- Runciman, A History, vol.i, pp2-51

9- Oldenbourg, The Crusades, p. 75-77; Kenneth pennington, Gregory VII, Saint (1020-1085), E. A. vol.1, pp. 411

10-Rise, The Seljuk's, p.50

11- Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.61.

12- سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص25، زابوروف، الصليبيون، ص35؛ زابوروف السيف والصليب، ص27.

13- Gesta Version, p.70. Smith, the First, p.34; Oldenbourg, The Crusades, p.78-79

14- نقولا زيادة، المسيحية والعرب، ص213؛ وشحادة خوري، خلاصة تاريخ كنيسة اورشليم الأرثوذكسية، ص69.

15- Runciman, A History, vol.i, pp.49-50; Rise, The Seljuk's, p.51.

16- Runciman, A History, vol.i, p.50

17- Runciman, A History, vol. i, pp. 49-50; Rise, The Seljuk's, p.55

18- بالار، الحملات الصليبية، ص47.

19- يوشع براور، عالم الصليبيين، ص15.

20- Hill, Raymond IV, pp. 6-7

21- Smail, Crusading Warfare, pp. 18-20; Ronald, Soldier of the Faith Crusades, p.21, Smith, The First Crusade, p.16-

22- Fulcher of Charter, A History of The Expedition, p.62-67

23- Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.67; Gesta Version, p. 5.

24- Gesta Version, p.5

25- Oldenbourg, The Crusades, p.95. Fulcher of Charter, A History of the Expedition, p.67

تغلب أحيانا فلا بد ان مواقف المؤرخين من الكنيسة تدخلت أحيانا في نقل النصوص والتعابير. ويعتمد البحث على نص الخطاب الورد عند فوشيه الشارترى باعتباره من المعاصرين للاحداث واقربهم الى الفترة التاريخية⁽²²⁾.

ملامح التسييس الديني في خطاب البابا أوربان الثاني: تمكن الخطاب الديني للبابا أوربان الثاني في مجمع كليرمونت من تجيش الجيوش وتحريك الجماهير نحو هدف ديني الظاهر (تخليص القبر المقدس) الى اهداف سياسية متعددة تحقق انقاذاً اجتماعياً واقتصادياً للواقع الأوروبي المتهالك أهمها عالم جديد مخلص للامراء والفرسان الذين باتوا بلا سلطة مهددون بالانحدار الى طبقات اقتصادية واجتماعية متدنية المستوى؛ وسلطة بابوية تثبت بقوة الجماهير الزاحفة تأثيرها على شكل العالم الأوروبي وانها أقوى من اعنى الملوك والقادة. وحشد هائل من الفقراء والجوعى يرون في هذه المغامرة حكايا الخيال التي تنقلهم من الجوع والفقر الى الغنى وحياة كريمة باتوا يفتقدونها في اوطانهم. وجاء هذا الغزو الأوروبي بشعارات دينية وجرائم فظيعة ضد الانسانية تحت شعار الصليب وبهتافات معادية للإسلام والمسلمين جعلتها تستحق بالفعل الصفة العنصرية الدينية التي ارتبطت بها وهي الحروب الصليبية مع احتفاظها بسمّة الغزو الحضاري الغربي للشرق. ركز خطاب البابا أوربان الثاني في كليرمونت 28 تشرين الثاني 1095م، على النقاط الرئيسية التالية:

❖ أوضاع المسيحيين الشرقيين وضرورة مساعدتهم بعد أن أخذ "السلاجقة" بالتوسع في الأناضول المسيحي، وأخذوا يسيئون معاملة السكان، بالإضافة إلى عجز بيزنطة عن مقاومتهم.

❖ أكد ما لبیت المقدس من قداسة خاصة، فهو أرض مولد وصلب السيد المسيح، ولا يجوز بقاؤها في يد من أسماهم بـ "الكفرة". وأكد أيضاً ما يلحق الحجاج الأوروبيين من أذى من هؤلاء "المتوحشين".

❖ أكد البابا أن التوجه إلى الشرق هو تنفيذ لأمر الله - إرادة الرب The will of God - كما هو مصلحة دينية ودينية لكل من يلبي النداء. فدينياً سيحصل الجميع بلا استثناء على الغفران من الرب وستعمل الكنيسة على حفظ أموالهم وما تركوه وراءهم في الغرب، ودينياً سيتخلص الفقراء من العوز والفقر والتبعية للنبلاء والاقطاعيين ليصبحوا أحراراً بتخلصهم من النظم الاقطاعية. وسيجد الفرسان في الشرق المكان الحقيقي الذي يمارسون فيه بطولاتهم ليس ضد بعضهم بعضاً وإنما ضد أعدائهم. وسيجد النبلاء والاقطاعيون في الشرق متسعاً لتكوين إمارات خاصة بهم بعد أن عجزت أراضي الغرب عن استيعابهم.

حرص البابا أوربان الثاني على إرضاء جميع فئات المجتمع وإعطائها الدوافع للاشتراك في هذه الحملة، كل ذلك يؤكد أن الدعوة للحملة الصليبية لم تكن ارتجالية، عجل بظهورها رسالة الإمبراطور البيزنطي، وسهل تنفيذها البيئية الفرنسية

❖ Jonnathan, Riley- Smith.: The First Crusade & The Idea of Crusading. Arhloned Press-london. 1986

❖ R. C. Smail.: Crusading Warfare 1097-1193. Cambridge. university Press. 1956

❖ Ronald . C. Finucan.: Soldier of The Faith Crusades & Moslems at War. J. M Dent & Sons LtdI. 1988

❖ Ralph B. Yewdale.: Bohemond I: Prince of Antioch. U. P- Princeton. 1924

❖ Ross. J. S. H of fman. Medieval History. Revised by James J. Flunny. New York Press. 1962.

❖ Setton. Kenneth Meyer.: A history of the Crusades. 6vol. University of Wisconsin Press- Madison. 1969.

❖ Steven Runciman.: A History of The Crusades. 3Vol. Cambreidg University Press. 1951

❖ Oldenbourg. Zoe: The Crusades. Trans. Anne Carter. Pantheon. Book-New York. 1965

المصادر باللغة العربية

❖ حمزة بن أسد بن علي بن القلانسي (ت 555هـ / 1160م)، ذيل تاريخ دمشق، ط1، تحقيق سهيل زكار، دمشق، 1403هـ / 1983م

❖ عبد الملك بن الكردبوس (ت بعد 573هـ / 1177م)، تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1390هـ / 1971م

❖ علي بن بسام الشنتيريني (ت 542هـ / 1147م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ق4 مج1، 1398هـ / 1978م.

❖ علي بن محمد بن محمد بن الأثير (ت 630هـ / 1232م)، الكامل في التاريخ، تحقيق خليل مأمون شيحا، ط1، ج9، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ / 2002م

المصادر باللغة الانجليزية

❖ Anna Commena. The Alexiad. Translated from the Greek By E. R. A. Sewter. Penguin

❖ Fulcher of Charter.: A History of The Expedition to Jerrusalem. 1095-1127. Translated By Frances Rita Rayan. edited By Harold S. Fink. W. W. Nrton & Company. INC. New York. 1973. p31

❖ John Hugh Hill.: Raymond IV, Count of Toulouse. GreenWood Press. New York. 1980

❖ Peters, Edward M.: The first crusade: the chronicle of fulcher of chartres and Gesta Version, other source materials. University of Pennsylvania. 19

❖ william of Tyre.: A History of Deeds Done Beyond the Sea. Trans. by Babcock & kery. New York 1943

المراجع باللغة العربية

❖ سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ط4، مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة، 1982م.

❖ شحادة خوري، خلاصة تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية، ط2، مطبعة بيت المقدس - القدس، 1992م

❖ نقولا زيادة، المسيحية والعرب، ط4، دقمس - دمشق، 2002م

المراجع المترجمة إلى اللغة العربية

❖ أنتوني بردج، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة أحمد غسانو، دار قتيبة - دمشق، 1985م،

❖ كارين ارمسترونج، الحرب المقدسة: الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم، ط1، ترجمة سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2004م

❖ أنتوني ويست، الحروب الصليبية، ترجمة شكري محمود نديم، النبراس للنشر والتوزيع - بغداد، 1967م،

❖ ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، ترجمة الياس شاهين، ط1، دار التقدم - موسكو، 1986م

❖ ميشيل بالار: الحملات الصليبية والشرق اللاتيني، ط1، ترجمة بشير السباعي، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية - القاهرة، 2003م.

❖ يوشع براور: عالم الصليبيين، ترجمة قاسم عبده قاسم، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية - القاهرة، 1999م.

المراجع باللغة الانجليزية

❖ Charles Diehl.: History of The Byzantine Empire U. P. -Brinceton. 1925.

❖ Jonathan Riley-Smith.: The ATLAS of the crusades. Times Books- London. 1990.